المحاضرة الأولى (نظري) : مدخل إلى علم الجمال

- أهداف الدرس:

_ أن يتعرف الطالب على مفهوم ومراحل تطور فلسفة الجمال واهدافها

_ أن يعرف الطالب التأثير الفلسفي على الجمال

_ أن يفهم الطالب معنى الاستيطيقا عبر مراحلها التاريخية

_ أن يفهم رؤية الفلاسفة للجمال وللفن وتوجهاتهم الجمالية الذاتية و الموضوعية

_ أن يطلع الطالب على أراء فلسفية في الجمال والفن

- تمهيد:

يتفق معظم الباحثين والدارسين على أن الجمال كمفهوم هو من أقدم البحوث التي اهتم بها المفكرون والفلاسفة ؛ فقد صب اليونان جل اهتمامهم على الفن ومدى علاقته بالخير ودلالته على الحقيقة ، كما اهتمت به مختلف الحضارات القديمة وجستدته في أعمالها فنية ،إلا أن وجوده كعلم لم ينشأ إلا في العصر الحديث على يد الفيلسوف الالماني (بومجارتن) . فماهو الجمال وما علاقته بالفلسفة ؟ كيف كان الجمال في الحضارات القديمة ؟ ماهي أهم التطورات التي عرفها في مساره التاريخي؟،ماهو الفرق بينه وبين الفن ؟ ، ماهي أهم المدارس والتوجهات والنظريات الفلسفية في الجمال ، من هم أهم رواده؟ ، هذه أهم الأسئلة ، التي سنحاول الاجابة في محاضرتنا الأولى لمفهوم لعلم الجمال.

-تعريف الجمال لغة واصطلاحا:

ورد الجمال لغة في (لسان العرب) " من مصدر (الجميل) , و الفعل (جمل)؛ أي حسن , أي الجمال هو الحسن"[1] . و جاء معنى الجميل في معجم (العين) " بمعنى البهاء والحسن . ".[2] ؛ لنخلص أن الجمال لغة بمعن (الحسن والبهاء) ، في حين نجده كاصطلاح في تعريف (هربت ريد) الذي قدم أهم التعريفات التي ظهرت في الجمال مفاده " إن الجمال هو وحدة العلاقات الشكلية بين الاشياء التي تدركها حواسنا[3] ، في حين نجدها عند الفيلسوف جون ديوي في قوله :" هو فعل الإدراك و التذوق للعمل الفني"[4]، ورغم ما يظهر من تقارب في الدلالة ، إلا أن

---

[1] – ابن منظور , لسان العرب , الجزء 1 , دار االجيل ، بيروت , مج1 , 1988 ,ص 503.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي , كتاب العين , مج1 , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ط1 , 2003 ,ص 261.

[3] – آمال حليم الصراف , علم الجمال فلسفة و فن , دار البداية , عمان , الاردن , ط1 , 2012 , ص 14.

[4] –المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

حصرها فلسفيا في تعريف واحد يجعلها من الأمر العسير والصعب ؛ لتعدد النظريات الفلسفية ،و كثرة توجهاتها الجمالية والفنية .

– من فلسفة الجمال إلى علم الجمال(الاستيطيقا):

رغم أن مصطلح علم الجمال(الاستيطقا Aesthetics) حديث النشأة ، "ظهر في القرن الثامن عشر على يد الفيلسوف الألماني(جوتلب بومجارتن) 1762 – 1714 ،في كتابه(تأملات فلسفية) تناول فيه موضوعات تتعلق بالشعر. "الذي ربط الفنون بالمعرفة الحسية"،[5] ، إلا أن حقيقة الجمال كاستخدام قد نشأ مع نشأة الإنسان الأول ، وهذا ما تؤكده الاكتشافات الأثرية والزخارف والرسومات الموجودة في جميع أنحاء العالم وفي مختلف الحضارات، ومن هنا يمكن ان نستخلص ، بأن فلسفة الجمال نشأت قديما كأفكار جمالية ثم تطورت بدءا من العصر الحديث ، منبثقة عن الفلسفة كفرعٍ من فروعها في تعاملها مع الطبيعة والجمال والفن والذوق، متجهة بعدها نحو العلمية من خلال انضمامها في العصر الحديث إلى العلوم التجريبية ؛ لتصبح علما يعرف بالإستيطيقا ، (Aesthetics) ،أو بعلم الجمال من كونها تبحث عن المفاهيم الأساسية التي توضح التجربة الجمالية مع دراسة وتحليل لشروط الجمال ومقاييسه، ومضامينه، وتجلياته في الآثار الفنية والإبداعية بمختلف أنواعها ؛ للوصول إلى تحديد أهم تجليات الجميل والقبيح في هذا العمل الفني، وأثره الحسي على الانسان المتلقي نفسيا ووجدانيا،لتزداد اهميته وحاجته و دوره في وقتنا المعاصر مع متطلبات ظروفه وحاجياته إليه في حياته اليومية .

– الجمال الموضوعي والجمال الذاتي:

انقسم فلاسفة العصر الحديث في رؤيتهم وتوجههم الجمالي إلى قسمين منها **الجمال الموضوعي** الذي هو "مستوى تتم من خلاله دراسة الطبيعة الجمالية للواقع الذي يعيشه الانسان عامة والفنان المبدع خاصة وهذا الواقع يتمظهر في أبعاد مختلفة منها التآلف ومنها المتخالف مثل : التناسق ،الانسجام ،التكامل ،الترابط ، الوحدة ،التناظر ، التناقض ،التضاد ،الايقاع ، التصوير ....."[6]،أنصار هذا المذهب قاموا بنقض جميع آراء الذاتيين ؛ كونها لا ترتبط مع المبادئ الأفلاطونية للجمال ؛ كما ركزوا على وجود العامل الموضوعي المشترك و الموجود في جميع الأشياء الجميلة. إذ يعتبر أنصار هذا المذهب أن الجمال مستقل قائم بحد ذاته وموجود خارج النفس وهي ظاهرة موضوعية تحررهم وتبعدعهم من التأثر بالمزاج الشخصي أوالحالة النفسية للمتلقي ، ومن علماء هذا الاتجاه نجد : الفيلسوف **(ديموقراط)** والفيلسوف**(غوته)** الذي قال :"

---

5 - هربرد ريد ،الفن اليوم مدخل إلى نظرية التصوير ، وانحت المعاصرين ، ترجمة مخمد فتحي ،دار المعارف ،القاهرة ،دت ،دط ، ص18

6 - جعفر زروالي ، الجمالية والفنية ،وفاعليات الابداع والتلقي ،مجلة ،أفانين الخطاب المجلد : 01 / العدد: 01 / السنة: جوان 2921 ،ص:17

للإبداع الفني قوانين موضوعية".[7] ، في حين نجد التوجه الثاني لفلاسفة الجمال هو توجه **الجمال الذاتي** الذي يتعلق بمستوى ذاتية الفرد ؛ أي مدى تأثير الجمال في وجدان الإنسان ومشاعره ، فهو :"عملية باطنية يتمظهر في الانفعالات المختلفة ،مثل : الاحساس ،الشعور ، الادراك ،التعجب ، الرؤى،الأحلام .... "[8] ،أنصار هذا المذهب على نقيض فلاسفة التوجه الموضوعي ، إذ ينكرون الجمال المستقل للأشياء وللطبيعة، ويعتقدون أن الجمال الوحيد هي في الطريقة التي نتصورها في فكرنا ، فالجمال ليس سوى ظاهرة نفسية ذاتية ومرآة تعكس الحالة النفسية للإنسان ، وأن الشيء يكون جميلاً عندما نراه بعين احترفت الرؤية الجمالية مع ارتباطه بالحالة النفسية للشخص .

من أبرز رواده (كانط) ،وكذلك الفيلسوف (هيغل) (فيكتور باش). وخلاصة القول أن كلا التوجهين – الذاتي والموضوعي – يثريان التنوع ويدفعان به إلى التجديد والتطور ، وما كثرة هذه الآراء الجمالية والجدلية إلا شحنة تدفع بعلم الجمال للاستمرار والبحث والتجديد .

_ علاقة الفن بالجمال:

لقد تنوعت مفاهيم الفن بين الدارسين والناقدين ، فأعطيت لها تعاريف كثيرة كل ينطلق من تخصصاته وسياقاته ، إلا أن هناك عناصر مشتركة يستوجب منا الأخذ بها ، وقبل ذلك يجدر بنا تقديم مفهوم يسمح لنا باجراء موازنة بينهما . فماهو الفن وما أصله اللغوي ؟ . وما علاقته بالجمال ؟

نجد أن الأصل الاشتقاقي لكلمة الفن (TECHNE) باليونانية و(ARS) باللاتنية، تعني " النشاط الصناعي النافع بصفة عامة كالنجارة و الحدادة وغيرها من المهن الحرفية اضافة إلى نشاطات أخرى ضمن الأدب كالشعر والرواية أوالنحت والموسيقى وغيرها " [9] وهو مفهوم يتقارب مع مصطلح (الصناعة) عند النقاد المسلمين القدامى ، ولعل أبرزهم (الجاحظ) حين ربط الفن بالصناعة في قوله :" ان الشعر (صناعة (صياغة) وضرب من النسج، وجنس من التصوير" [10] ليضيف له (ابن طباطبا) في معرض وصفه للشاعر المجيد: " ويكون كالنساج الحاذف الذي يفوق وشيه بأحسن التفويف، ويسديه، وينيره، ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه، وكالنقاش الرفيق الذي يضع الاصباغ في أحسن تقاسيم نقشه ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في

---

7 – المرجع نفسه الصفحة نفسها – بتصرف

8 – جعفر زروالي ، الجمالية والفنية ،وفاعليات الابداع والتلقي ،مجلة ،أفانين الخطاب المجلد : 01 / العدد: 01 / السنة: جوان 2921 ،ص:17 بتصرف

9 – ينظر :زكري ابراهيم ، مشكلة الفن ،دار الطباعة الحديثة ،ص9– 10

10 - ينظر :الجاحظ: الحيوان تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، 1969 – ص132/3.

العيان، وكناظم الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق) [11] ، لتكتمل الصورة عند قدامة بن جعفر في قوله: "أن المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة من انه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة" [12] ، وملخص الفن حسب رؤية الفلاسفة والنقاد أن "الفن عند اليونان كان يعرف بكل نشاط صناعي نافع بصفة عامة ولم يقتصر على الشعر و النحت و الموسيقى بل شمل الصناعات المهنية كالنجارة و البناء والحدادة , في نفس الفترة كان(ارسطو) يرى الفن بانه تقليد (محاكاة) , و في معجم اكسفورد عرف الفن نقلا عن (جون ستيوارت مل) بالسعي وراء الكمال في الاداء , وعليه فإن الحديث عن الفن أو الفنون نعي بها : " مجموعة من المهارات البشرية على اختلاف انواعها كالفنون النافعة ، الفنون الجميلة ،الفنون التطبيقية ،الفنون الكبرى .... [13] . نستنتج مما سبق تعريفه في مفهوم الجمال ومفهوم الفن أن العلاقة الجامعة بينهما هي علاقة وطيدة ، فقط أن الجمال يعتمد على الجوانب الحسية والوجودانية ؛ في حين أن الفن يعتمد على المكوّن المادي المحسوس كرسم لوحة فنية أو النحت بمختلف اشكاله أو كتابات شعرية أو أدبية روايات قصص أو موسيقى .. .

- سؤال تطبيقي:

1- وازن بين الجمال الموضوعي و الجمال الذاتي ، مبينا أهم فلاسفة الاتجاهين. مبرزا الطريقة الامثل في تكاملهما .

2- وازن بين الجمال والفن مقدما مثالا عن كل منهما

---

[11] - ابن طباطبا: عيار الشعر تحقيق: الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة 1956. ص5-6.

[12] قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ط1، د ت، ص13.

[13] - ينظر:زكري ابراهيم ، مشكلة الفن ،دار الطباعة الحديثة ،ص9- 10